مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (21)– العدد (02)(ديسمبر، 2020) - ص 221 - 238
ISSN 1111-5149 /E.ISSN 2430-2588

الجزائر المحتلة في اهتمامات شكيب أرسلان وعلاقته برواد الحركة الوطنية "مصالي الحاج نموذجا"

Occupied Algeria in the interests of Chakib Arslan and his relationship with the pioneers of the national movement" Massali Hadj as a model "

دربال سلامة[1]، مخبر: الجزائر دراسات في التاريخ الثقافة والمجتمع، (جامعة باتنة1)
derbalrahman01@gmail.com
قريري سليمان، (جامعة باتنة1) ، grairislimane@yahoo.fr

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
23-10-2019	25-10-2020

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة حقيقة العلاقة التي كانت قد نشأت بين السياسي والأديب اللبناني شكيب أرسلان وأبرز شخصيات الحركة الوطنية الجزائرية مصالي الحاج. للوصول الى ذلك قمنا بدراسة مقتضبة لفكر شكيب أرسلان والمنابع التي نهلت منها شخصيته، وكيف قدم خدماته للدولة العثمانية ثم للوحدة العربية، ثم اهتماماته بالشؤون المغاربية عامة والجزائر خاصة من خلال علاقاته بالعديد من قادة الحركة الوطنية. خصصنا بعدها موضعا للحديث عن المحطات التي ساهمت في صقل شخصية مصالي الحاج، محاولين رصد بدايات علاقته بشكيب أرسلان وتطورها. كانت أهم نتيجة توصلنا اليها هي أننا لا نستطيع فهم أفكار مصالي الحاج وممارساته بمعزل عن المؤثرات التي صاغته والمتمثلة في الطريقة الدرقاوية التي أخذ عنها أ سلوب التعامل مع ال شعب والعداء للا ستعمار ومبدأ الم ساواة، وكذلك الماركسية التي تأثر بها على يد حاج علي عبد القادر وبواسطة احتكاكه بالحزب الشيوعي الفرنسي، فأعطته أسلوب التنظيم لحركته بالإضافة إلى شكيب أرسلان الذي دعم توجهه العروبي الإسلامي الذي بقي مصالي متمسكا به.

كلمات مفتاحية

شكيب أرسلان؛ مصالي الحاج؛ الشخصيتين؛ التأثير والتأثر؛ الحركة الوطنية الجزائرية.

Abstract

This study aims to know the truth about the relationship between the politician and writer Chakib Arslan with the most prominent figures, the leader of the Algerian national movement, Massali Hadj.

The most important result we reached was that we cannot understand the ideas and practices of Massali Hadj in isolation from the influences that formulated him, represented by the Darkawia method from which he took the method of dealing with the people, hostility to colonialism and the principle of equality, as well as the Marxism that was influenced by Hadj Ali Abdul Qadir and by his contact with the Communist Party It gave him the method of organizing his movement, in addition to Shakib Arslan, who supported his Islamic Arabist orientation, which Massali remained attached to.

Key words

Chakib Arslan; Massali Hadj; Personalities; Impact and influence ; The Algerian national movement

[1] - دربال سلامة

مقدّمة

هناك الكثير من الشخصيات العالمية التي لم تؤمن بالحدود كعائق لأفكارها وجهودها الإنسانية في شتى المجالات: الثقافية، السياسية، والثورية...، وقد عرف العالم الإسلامي ثلة من هؤلاء الرجال، عملوا بكل ما لديهم لتحرير العقل العربي والإسلامي من التخلف والجمود، في الوقت الذي كانت تقبع فيه معظم الدول الإسلامية وبالأخص العربية تحت حكم الدول الاستعمارية. وبذلك، ومع مطلع القرن العشرين، كثفت كوكبة من الإصلاحيين نشاطها السياسي في المشرق العربي تحت غطاء الجامعة الإسلامية، وبرز الأمير شكيب أرسلان كشخصية إسلامية اهتمت بقضايا العالم الإسلامي في شرقه، وبسقوط الخلافة العثمانية ركز نشاطه وجهده المميز على مناطق المغرب العربي، فكان له اهتمام بهذه الأوطان وكانت له علاقات مع رموز الحركة الوطنية بها ومن بينها الجزائر.

تعد شخصية شكيب أرسلان من الشخصيات التي يفتقدها العالم العربي اليوم للفكر الموسوعي الذي حمله، حيث خاض غمار تجارب عديدة في مجالات مختلفة، ساهمت في بلورة شخصيته الفذة. والسؤال المطروح: ما العلاقة التي جمعت أرسلان بقادة الحركة الوطنية الجزائرية بشكل عام ومصالي الحاج بشكل خاص؟ وهل فعلا كان له الفضل في تغيير نهج مصالي الحاج من التوجه اليساري الى التوجه العربي الإسلامي والتقريب بينه وبين العلماء أم أن مصالي سطر نهجه على أسس عقيدته وأفكاره التي امتلكها منذ النشأة وتبناها خلال مساره السياسي؟

فكر وشخصية أمير البيان شكيب أرسلان

لكل مفكر محطات فكرية وتفاعلات ثقافية تصقل شخصيته وتؤثر على آرائه بخصوص القضايا الجوهرية التي يمر بها، تنعكس على فحوى مؤلفاته وطرق عمله. كما أن لكل مفكر أيضا محطات أخرى يراجع فيها بعض القناعات، يدقق فيها ويعيد الحكم عليها. شكيب أرسلان كذلك مفكر، مرَّ بمحطات من خلالها تشكلت شخصيته المميزة فتأثر بأعلام اللغة والفكر والسياسة، ومر بمحطات أخرى راجع فيها بعض القناعات كما أثر على الكثير من السياسيين بأفكاره مشرقا ومغربا، فوضع بصمته، وترك لمسته الواضحة إعلاميا وسياسيا على محيطه.

بناء الشخصية وعلاقته برموز الحركة الإصلاحية المشرقية

ولد شكيب أرسلان يوم الإثنين 25 سبتمبر 1869 بقرية "الشويفات" مقاطعة الشوف بلبنان من أب يدعى حمود بن حسين وأم شركسية. كان الإبن الثاني في أسرة مكونة من أربعة أبناء نسيب وحسن وعادل الى جانب شكيب. تربى ونشأ في بيئة معتدلة آمنة من الرذائل والدنايا كما يقول، وفي أسرة عريقة اشتهرت بالعلم والإدارة والحرب حتى قيل عن أمرائها: "أمراء سيف وحكم وحملة علم وعَلم. (صاري، 2004: 79). تزوج من سلمى بنت الخاص بك، امرأة شركسية الأصل مخالفا القواعد والتقاليد الدروزية (أنظر التعليق رقم:1) التي تعيب الزواج من السنة وتعتبره أمرا مرفوضا، وقد أثر هذا التحول على فكره الإسلامي الذي لازمه طوال حياته. رزق منها بثلاثة أبناء غالب ومي ونظمي. (عمايرة، 2000: 03).

تعلم شكيب أرسلان القراءة والكتابة بمسقط رأسه ببلدة الشويفات وهو في الخامسة من عمره على يد الشيخ مرعي شاهين، حفظ أجزاءا من القرآن الكريم على يد الشيخ أسعد أفندي نادر، ثم دخل المدرسة الأمريكية في حارة العمروشية بالشويفات حيث تلقى دروسا في الجغرافيا والحساب ومبادئ اللغة الإنجليزية. التحق بعدها بمدرسة الحكمة في بيروت وهو في العاشرة من عمره فدرس على يد عبد اللّه البستاني العالم اللغوي الكبير مؤلف المعجم الكبير: "البستان" (الدهان، 1960: 194) الذي فتق لسانه بالعربية، فبدأ ينظم الشعر ويكتب المقالات وهو لا يزال ابن الرابعة عشر وكانت أول منشوراته في جريدة "الجنة" التي أشرف عليها البستاني وأصدر المجموعة الشعرية الأولى "الباكورة" سنة 1887. وقد كان البستاني شديد الإعجاب بشكيب وكثير الثناء عليه، وقد سُئِل قبل وفاته عن أحب التلاميذ إليه فأجاب: أحب تلاميذي إليّ الأمير شكيب أرسلان" (الشرباصي، 1963: 59).

دخل سنة 1887 مع أخيه نسيب المدرسة السلطانية المشهورة في بيروت وأقاما فيها سنة كاملة، وشاءت الصدف أن يتلقى الفقه في هذه المدرسة على يد الإمام محمد عبده الذي كان مبعدا آنذاك عن مصر بعد اتهامه بالمشاركة في الثورة العرابية فلازمه واستفاد منه. ونظرا لتعلقه بمحمد عبده فقد لحقه سنة 1890 الى مصر ولازمه مدة شهرين، وخلال اقامته بمصر اطلع على الجو الثقافي هناك والتقى بالعديد من الشخصيات السياسية والفكرية كسعد زغلول والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد والاديب أحمد زكي باشا. وفي سنة 1892، سافر الى الأستانة والتقى هناك بالمصلح جمال الدين الأفغاني. (صاري، 2004: 79-80).

من أساتذته كذلك سعيد الخوري الشرتوني مؤلف معجم: "أقرب الموارد" إضافةً إلى: "أحمد فارس الشدياق" صاحب المؤلفات الضخمة في اللغة، تبعه شكيب رغم عدم لقائه به مطلقا، فكان أستاذه الروحي وقبلته في اللغة (الدهان، 1960: 194).

اتجه شكيب أرسلان إلى الكتابة الصحفية، فشارك بمقالاته في الصحف البيروتية أولا ثم المصرية التي كتب في كبريات جرائدها وعلى رأسها "الأهرام"، فأمطرها بوابل من مقالاته يملؤها بنتاج عقله النير، وقلمه السيال، فبلغ الذروة في كتاباته الصحفية في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية. وقد تفرد أمير البيان عن أقرانه من الإصلاحيين، فلم يكن مفكرا نظريا، ولا مناضلا سياسيا ضمن يومياته الآنية، بل جمع بين النظرية والممارسة، فاكتسب من خلال واقعه قدرة كبيرة للدفاع عن آرائه وما يطرحه من أفكار (الحكيم، 2010: 22)، ورغم كون أرسلان دروزيا إلا أن هذا لم يؤثر على مساره أو أفكاره، فهمُّه كان أوسع بكثير من مشاكل طائفته في لبنان.

أتقن أرسلان اللغة التركية منذ نعومة أظافره، واحتك بمثقفيها، وقد ترجم الكثير من أشعارهم إلى العربية، وكتبها في ثنايا كتبه ومقالاته حتى عدَّه كثيرٌ منهم أديبا تركيا. تمكن كذلك من اللغة الألمانية فكان يرافق الإمبراطور غليوم الثاني (أنظر التعليق رقم:2) في زياراته إلى الشام بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني، فترجم مديح شوقي في شخص الإمبراطور إلى الألمانية، ونقل كتاب كيللر "عن غزوات العرب في سويسرا" إلى العربية (الدهان، 1960: 202). تعلم اللغة الفرنسية كذلك

منذ طفولته، فترجم لشاتو بريان، وأناتول فرانس، وترجم عن المستشرقين ورد عليهم في كتاباته، فكثرت أسماء أعلامهم في بحوثه، حتى نافست الأعلام العربية (الدهان، 1960: 203).

ارتبطت إيديولوجية شكيب بفكر الجامعة الإسلامية أي بجيل كامل من الإصلاحيين أمثال جمال الدين الأفغاني، رشيد رضا ومحمد عبده وآخرون (الحكيم، 2010: 15)، فكان الأفغاني كثير الإعجاب به، وقد تحدث أمير البيان في كتابه: "عروة الإتحاد بين أهل الجهاد" عن مدح الأفغاني له حين لاقاه في الأستانة وهو في سن الثانية والعشرين عندما قال له: "إنِّي أهنئ أرض الإسلام التي أنبتتك". علق أرسلان على هذا القول أن الأفغاني لم يرد منه الحقيقة، بل أراد منه التكريم والتلطّف (أرسلان، 2009: 157) وهذا تواضعا منه.

شكيب أرسلان بين العمل على استمرارية الخلافة العثمانية وجهود الوحدة العربية :

في خلال تنقلاته بين الشام ومصر وتركيا وبعض البلاد الأوربية، تكونت لدى شكيب أرسلان فكرة حول الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد الخلافة الإسلامية والدول العربية التابعة لها أو المستقلة عنها، عندها بدأ يناضل من أجل المحافظة على وحدة الخلافة الإسلامية. لما ألغيت هذه الأخيرة وازداد تعصب الأتراك لطورانيتهم ابتعد عنهم وأصبح من كبار المدافعين عن استقلال العرب ووحدتهم.

عن قناعته الاولى، وأثناء مرحلة التواجد العثماني بالبلاد العربية، كان ولاء شكيب أرسلان وأسرته لآل عثمان عظيما من خلال الخدمات التي قدموها للسلطة والجهود التي بذلوها في سبيل المحافظة على الخلافة الاسلامية، ومناهضة الأطماع الاستعمارية الأوربية.

بدأ أرسلان نشاطه كإداري بالشويفات بعد وفاة والده سنة 1888 وهو في سن التاسعة عشر، ليعين بعد ذلك قائم مقام بقضاء الشوف. عُزل من منصبه هذا من طرف مظفر باشا لاعتراضه على السياسة العثمانية المحلية بلبنان، لكن يوسف فرانكو باشا أُعاد تعيينه بهذا المنصب مرة ثانية سنة 1908 (عمايرة، 2000: 16). لم يلبث شكيب في هذا المنصب طويلا لتطوعه في الحرب الليبية سنة 1911م ضد الاستعمار الإيطالي لهذه الأرض العثمانية، ومشاركته في حرب البلقان الى جانب العثمانيين. وبحلول أواخر سنة 1913، دخل أرسلان الحياة السياسية العثمانية بانتخابه عضوا في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) نائباً عن منطقة حوران (الشام). (صاري، 2004: 80).

قناعته الأولى تجلت أيضا في دفاعه المستميت على الخلافة العثمانية ووحدتها ضد بعض زعماء القومية العربية المنادين بالإنفصال عن الحكم العثماني (اللامركزية) من جهة، والتركيز على بناء المدارس في المناطق العربية من جهة أخرى بقناعة أن الجهل وعدم تجديد مناهج التعليم، ورفض دراسة العلوم الطبيعية هي سبب تخلف المسلمين فكانت مدرسة الحقوق بدمشق (عمايرة، 2000: 18). وبصدور الأمر العثماني الى جمال باشا سنة 1916 بإصدار جريدة "الشرق" بغرض الدعاية للدولة العثمانية في الأقطار العربية فترة الحرب العالمية الاولى، وفترة قيام الثورة العربية الكبرى السنة ذاتها ضد الحكم العثماني، كان شكيب أرسلان من بين أفضل الأقلام العربية التي كتبت بها، وعند الإفراج عن أول عدد لها في 27 أفريل 1916 كانت افتتاحيتها بمقال مطول بقلم شكيب شرح

من خلاله أهداف الجريدة وحاول إزالة سوء الفهم الذي حاول الأعداء دسه بين مختلف طوائف الدولة العثمانية (طلس، 2013: 45-46).

على الصعيد الخارجي، أدى أرسلان دوراً كبيرا لصالح الدولة العثمانية أواخر سنوات الحرب العالمية الأولى بين 1917 و1918 إذ كلفه وزير الحربية أنور باشا بمهمتين إلى برلين: الأولى كانت سنة 1917 بهدف معاينة مدى قدرة ألمانيا على استمرارها في الحرب واستطلاع أحوالها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وإمكانية دعمها لاقتصاد تركيا، أما الثانية فهي سؤال وزير الخارجية الألماني حول امكانية استقلال المسلمين في القفقاس (أنظر التعليق رقم:3) فكانت الإجابة بالرفض لخوف ألمانيا من إثارة روسيا ضدها (عمايرة، 2000: 21).

بحلول 1918، انهارت الدولة العثمانية واستسلمت، وانتهت الحرب العالمية الاولى. غادر الأمير بلاد الشام الى تركيا رافضا العيش تحت حكم أجنبي، ثم إلى جنيف ثم إلى برلين سنة 1920 حيث أسس النادي الشرقي بهدف مقاومة الاستعمار، وانتخب رئيسا له. وقد تطور موقفه من الجامعة الإسلامية الى الوحدة العربية. أرجع البعض تطور موقفه هذا الى الثورة الكمالية ذات الصبغة التركية المضادة للعرب، والعلمانية البعيدة عن الجامعة الإسلامية، في حين أرجع آخرون ذلك الى سياسة القمع والتعذيب والشنق التي مارسها جمال باشا حاكم الشام ضد بعض رجال السياسة والفكر العرب خلال الحرب العالمية الاولى. (صاري، 2004: 80-81).

خلال سنة 1920، كان شكيب أرسلان من أشد المعارضين للثورة العربية الكبرى، وقد أعطى مبررات عدة لذلك كانت في محلها من منطلق بُعد النظر وإلمامه بسياسة الدول الأوربية، والحدس الذي كان لديه تجاه نوايا الأوربيين في المنطقة، فصرح أنه يفضل البقاء تحت ظل الدولة العثمانية ولا يرضى بالعيش في كنف الاحتلال الأوربي الذي سيحدث لا محالة. وقد تحقق استشرافه، واعترف له الكثير ببُعد نظره، واعتذر له آخرون على غرار الأمير فيصل الذي بعث له رسالة بُعيد تنحيته من على عرشه في دمشق فحواها الإشادة بجهود الأمير شكيب أرسلان في خدمة القضية العربية، ويعترف له فيها أنه أول من تكلم عن قضية الوحدة العربية (فايد، 2009: 516).

عندما اجتمع الزعماء العرب في القاهرة وشكلوا اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري-الفلسطيني سنة 1922، قرروا أيضا تأليف وفد عربي يدافع عن سوريا وفلسطين لتحريرهما من الإستعمار في منابر عصبة الأمم بجنيف فانتخب شكيب أرسلان أمينا عاما للوفد. (صاري، 2004: 81).

بحلول سنة 1923، نشر أرسلان بيانًا بليغًا وجهه إلى الشعوب العربية حكامًا ومحكومين داعيا إياهم إلى الجامعة العربية وإلى التكتل والوحدة محذرا من مغبة التخاذل أمام الهجوم الأوربي على الأوطان العربية (فايد، 2009: 515). بعد استقراره النهائي بجنيف مقر عصبة الأمم بداية من 1927، انفردت شخصيته بالجهود والمساعي الحثيثة التي بذلها لصالح القضايا العربية مناهضا للإستعمار، داعما لحركات التحرر.عن ذلك يُذكر أن شكيب أرسلان امتلك خلال هذه الفترة أربعون توكيلا خطيا من الحركات الوطنية الاستقلالية العربية ليمثلها لدى دوائر العصبة (أرسلان، 2008: 11)، ويروي أحمد توفيق المدني بناءا على رسالة أرسلها له شكيب أرسلان أن الأخير كان يرد يوميا على عشرين رسالة

تأتيه من مختلف مناطق البلاد الإسلامية ولا يتخلف عن ذلك أبدا، وهذا جزء يسير من الجهد الذي بذله في سبيل خدمة الأمة العربية من تحرير المقالات وتأليف للكتب وحضور المجالس السياسية (المدني، 1983: 75)، إضافة الى الجولات الماراتونية بين مختلف المناطق.

لقد تجلى تحول شكيب أرسلان أيضا في إصداره سنة 1930 بجنيف لمجلة باللغة الفرنسية سماها الامة العربية La Nation Arabe ، وقد انبرى في هذه المجلة يدافع عن الهموم العربية مشرقا ومغربا وجعلها منبرا للشعوب العربية التي كانت ترزخ تحت نير الإستعمار للتعريف بقضاياها والدفاع عنها. ومن بين الشعوب العربية التي نالت اهتمام شكيب أرسلان الشعب الجزائري.

شكيب أرسلان والجزائر المحتلة:

ربطت أهل الشام والجزائر تاريخيا علاقات توطدت أكثر بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر وبعده عبر مراحل عندما هاجرت الأسر الجزائرية الى بلاد الشام فرارا من سياسة السلطات الإستعمارية، أو تنفيذا لأوامر النفي التي صدرت بحقها. وقد كانت أسرة الأمير عبد القادر من بين هاته الأسر التي استقرت هناك، وقد كانت حارة المغاربة أهم مكان يشهد على ذلك.

- بداية اهتمام أرسلان بالجزائر المحتلة على صعيد الإنتاج الأدبي:

اهتم شكيب أرسلان بالجزائر أرضا رغم أنه لم يزر الجزائر يوما، واهتم بتاريخ الجزائر كتابةً على ما يبدو مطلع عشرينيات القرن الماضي، فأصدر مؤلفات وصف فيها المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبد القادر له، والبعض من مظاهر السياسة الفرنسية بالجزائر. ففي تعليقه على كتاب "حاضر العالم الإسلامي" لمؤلفه "لوثرب ستودارد" Lothrop Stodart خصص للجزائر مقالين: عُنون الأول بـ: "الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا"، والثاني بـ: "الجزائر وقبائل البربر".

في المقال الاول، وصف أرسلان حالة الجزائر في الفترة العثمانية، وحالة الأسطول الجزائري والانحطاط الذي وصل إليه وتحول مهمته من قضية الجهاد والدفاع عن الديار المغاربية إلى النهب والسبي والاسترقاق، مما ألَّب الدول الأوربية عليه وصولا الى خسارة المغرب الأوسط أي الجزائر، واحتلالها من طرف الفرنسيين. (ستودارد، د س ط: 166).

عن المقاومات الشعبية للإحتلال الفرنسي، تحدث أرسلان في هذا المقال عن الأمير عبد القادر، وصفه بالمجاهد الكبير الذي جمع بين السيف والقلم، وسرد أمورا تاريخية عن بيعته من طرف السكان للجهاد ضد الفرنسيين ومناهضة الوجود الاستعماري في البلاد الإسلامية (ستودارد، د س ط: 168)، وكيف أنه نظم جيشه العصري تدريبًا ولباسًا ورتبًا وتعليمًا، وخصّص للجنود أجور شهرية وأوسمة تحفيزية، وقسم مناطق نفوذه إلى مقاطعات، وشيد القلاع (ستودارد، د س ط: 169).

أشاد أرسلان بجهود الأمير عبد القادر في سوريا بعد هجرته إليها خاصة فيما عرف بأحداث الستين أي في سنة 1860 (أنظر التعليق رقم:4)، وكيف أنه قام بحماية الكثير من المسيحيين من القتل في الفتنة التي حدثت بينهم وبين الدروز، فقابلته الدول الأوربية بالتهاني والأوسمة وإرسال الهدايا، وعلى رأسها دولة فرنسا (ستودارد، د س ط: 172). والملاحظ في تناول أرسلان لهاته الحادثة

أنه أعطى رأيه الموضوعي وأشاد بدور وأعمال الأمير عبد القادر في الأزمة رغم انتمائه لأحد أطراف الصراع، أي طائفة الدروز، ووصف المتسببين في الفتنة برعاع القوم، ثم نوَّه بأخلاق الأمير الرفيعة وفكره الراقي.

أشاد أرسلان أيضا بدور أبناء الأمير عبد القادر بسوريا من أمثال الأمير محمد والأمير محي الدين اللذين قصدا الأستانة وعُينا في مجلس الأعيان، كما تحدث عن أحفاده من أمثال الأمير خالد ابن الهاشمي الذي كان من أبرز رواد الحركة الوطنية في الجزائر مطلع القرن العشرين وكذا الامير علي الذي ربطته به علاقات جيدة كللت بأن اقترحه شكيب مبعوثا عن ولاية الشام وممثلا عن أبناء العرب بالمجلس العثماني وهو الإقتراح الذي استشار فيه طلعت بك (أنظر التعليق رقم:5) رئيس المجلس. استطرد أرسلان بعدها في الحديث عن دور الأمير علي في الحرب العالمية الأولى عندما سافر الى ألمانيا لمقابلة الإمبراطور غليوم الثاني أين كلف بمهمة التوقيع على المناشير التي أُلقيت بجبهات القتال من الطائرات الألمانية على المجندين العرب وبالأخص المغاربة في جيوش فرنسا وبريطانيا آملين في أن تساهم في تأليب هؤلاء ضد الدولتين الإستعماريتين لصالح ألمانيا حليفة الدولة العثمانية في هذه الحرب (ستودارد، د س ط: 172). وقد مدح أيضا أبو طالب ابن أخ الأمير عبد القادر حيث وصفه بالعالم الورع، وذكر أنه سهر عنده في بيروت إلى جانب الشيخ طاهر الجزائري السمغوني (سعد الله، 1996: 117).

في ختام المقال الأول، وصف أرسلان معاناة أسرة الأمير عبد القادر بداية بإلقاء القبض على الأمير عمر حفيد الامير عبد القادر بدمشق بتهمة التعاون مع الفرنسيين بعد إيجاد وثائق متعلقة به في القنصلية الفرنسية، ثم إعدامه شنقا رفقة مجموعة من الأعيان من طرف جمال باشا رغم شفاعة الأمير شكيب وأخوه الأمير علي، وصولا الى نفي الامير علي وأسرته إلى بُرصة حيث مرض هناك وتوفي بالأستانة. وقد جاء بنهاية المقال ذكر لأعمال باقي أبناء الأمير عبد القادر من أمثال الأمير عبد الرزاق والأمير عبد المالك وأسفارهما، وختم بكتابة أبيات للأمير عبد القادر مبينا مستواه الراقي في كتابة الشعر. (ستودارد، د س ط: 172-174)

في المقال الثاني الذي عنونه بـ:"الجزائر وقبائل البربر"، تحدث أرسلان عن البعض من مظاهر السياسة الفرنسية تجاه سكان الجزائر ككل. البداية كانت من قمع المقاومات الشعبية الأخرى غير مقاومة الأمير عبد القادر التي خصص لها المقال الاول. التقتيل، تخريب القرى والمدن، السعي لفرض الوجود الفرنسي بقوة الحديد والنار هو أهم ما ميز حديثه عن ردود الفعل الفرنسية من المقاومات التي انتشرت خاصة بمنطقة القبائل والمناطق الغربية والصحراوية دفاعا عن الارض والعرض. (ستودارد، د س ط: 175-176).

في هذا المقال أيضا، وصف أرسلان جانبا آخر من السياسة الفرنسية بالجزائر غير الجانب العسكري، إنه الجانب الإقتصادي. عمليات مصادرة أراضي الجزائريين وفرض الغرامات المالية بعد اخماد كل مقاومة هو أهم ما ميز هذا الجانب. المثال كان عن السياسة الإقتصادية الفرنسية بعد اخماد

ثورة المقراني أين تمت مصادرة أكثر من 453 ألف هكتار من أراضي سكان المنطقة وفرضت عليهم غرامة مالية حربية أغرقتهم في الديون.

إرغام الجزائريين على المشاركة في الحروب التي تخوضها فرنسا مثال آخر قدمه أرسلان عن السياسة الفرنسية بالجزائر، من ذلك مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى حيث وصل العدد حسبه إلى نحو 200 ألف مجند قُتل منهم 36 ألف شخص (ستودارد، د س ط: 176).

في المجال الثقافي هذه المرة، ومن أجل تحقيق هدف القضاء على فكرة الاستقلال لدى الوطنيين الجزائريين وقتل روح المقاومة لديهم، تحدث أرسلان عن سعي فرنسا لمحاربة التعليم العربي الإسلامي، وطمس معالم الدين الإسلامي، وفتح المجال للتنصير من طرف البعثات الدينية على غرار نشاط جمعية الآباء البيض التي أسسها "الكاردينال لافيجري" (أنظر التعليق رقم:6) عبر بناء دور الأيتام والمدارس التعليمية (Baurnard,1898: 6-7). في هذا الإطار، أعطى أرسلان أرقاما حول عدد المساجد المهدمة أوالتي حولت إلى كنائس، كما روى قصة ضابط جزائري في الجيش الإيطالي إلتقى به، تربى الأخير في مراكز للآباء البيض، تخلى فيه عن دينه منذ الصغر، وخُيِّر بين التجنس بالجنسية الإيطالية أو الفرنسية أو الإسبانية فاختار الإيطالية ليرتقي في جيشها، أبدى هذا الضابط لأرسلان ندمه عن ذلك وطلب منه المساعدة في العودة عن ضالته. (ستودارد، د س ط: 176).

في نفس هذا الجانب، أي الجانب الثقافي، عدد أرسلان الصحف والمجلات الجزائرية التي كانت تصدر فتحدث عن "البلاغ"، "البصائر"، "الشهاب" (أرسلان، 2008: 41) غير أنه لم يذكر جريدة "الأمة" الخاصة بحزب الشعب برئاسة مصالي الحاج والتي كانت تصدر في نفس الفترة التي صدرت فيها الصحف الآنفة الذكر (أنظر التعليق رقم:7).

- أرسلان ورواد الحركة الوطنية بالجزائر:

بعيدا عن الكتابة في تاريخ الجزائر، ارتبط اسم الأمير شكيب أرسلان بقضايا العروبة والإسلام، وقد تعززت وتكثفت العلاقة بين الأمير وشمال افريقيا عموما بعد انشاء جريدة "الأمة العربية" التي تحدثنا عنها سابقا في مارس 1930 بجنيف مع رفيقه إحسان الجابري. ارتبط اهتمام شكيب بالمغرب العربي ببروز ثلاث أحداث هامة تمثلت في الإحتفال بالذكرى المئوية للإحتلال في الجزائر وظهور الظهير البربري المغربي الذي حرك الرأي العام العربي والإسلامي وأخيرا انعقاد المؤتمر الأفخارستي في تونس والذي نظمته الكنائس المسيحية تحديا للمسلمين في عقر دارهم. (سعد الله، 1996: 125-126).

لم يكن لشكيب أرسلان على ما يبدو علاقة شخصية بعبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لكن ما كان موجودا هو ما ذكره شكيب نفسه حين كتب: "أما في الجزائر، فقد كان البادئ بالحركة الوطنية الجزائرية هو عبد الحميد بن باديس ورهطه من العلماء الذين يجرون مجرى المصلح الأكبر أستاذنا الشيخ محمد عبده وتلميذ السيد جمال الأفغاني، من البديهي أن تكون بيني وبين ابن باديس رحمه الله صلة روحية" (ارسلان، 2009: 157). أما عن علاقة

شكيب بأحمد توفيق المدني أحد رموز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كان الأخير من بين العاملين على جمع الإشتراكات لمجلة "الامة العربية" والمروج لها بالجزائر (ارسلان، 2009: 175)، وكان أيضا يمثل صلة وصل بين أرسلان وبعض الزعماء المغاربة. وفي مقابل ذلك، اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنشر مقالات أرسلان في مجلة "الشهاب" كما نشرت إعلانات جريدته "الأمة العربية". دافع عبد الحميد بن باديس في هذه الجريدة عن مواقف شكيب أرسلان من بعض القضايا التي كانت تهم الأمة العربية (سعد اللّه، 1996: 130).

في جانب آخر، كان شكيب أرسلان خاصة خلال فترة الثلاثينات والأربعينات من القرن حسب الدكتور "ناصر الحكيم" ملهم المناضلين الأوائل بالأحزاب الاستقلالية في شمال إفريقيا وبالأخص طلاب الجامعات في فرنسا بأفكاره. يذكر الأخير أن تأثير شكيب في تفكير مناضلي الحركة الاستقلالية المغاربية في هذه الفترة قد كان له الدور البارز في تشكيل وعي استقلالي مغاربي إسلامي عربي لكن بنكهة مغاربية محلية، جاعلا فكر الحركة الاستقلالية وسطي "لا تطرفي علماني شيوعي على الطريقة الغربية، ولا تطرفي اسلامي مبالغ فيه" (الحكيم، 2010: 16). لكن السؤال المطروح: هل كان فعلا للفكر الأرسلاني خلال تلك الفترة تأثيرعلى النهج المصالي وفق ما ذهب له الدكتور "ناصر الحكيم" وآخرون، أم أن مصالي كون شخصيته السياسية قبل تلك الفترة؟

أثر الفكر الأرسلاني على مسار مصالي الحاج السياسي:

ربطت مصالي الحاج بشكيب أرسلان علاقات مميزة خلال ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين. وللحديث عن ذلك سنحاول اولا الحديث عن مصالي الحاج وشخصيته، ثم عن بداية العلاقات بينه وبين أرسلان وأخيرا التأثيرات.

- محطات مصالي الفكرية وتحديد الوجهة الأيديولوجية:

مصالي الحاج رائد من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، ممثلا للإتجاه الإستقلالي فيها. ولد بمدينة تلمسان في 16 ماي 1898، درس اللغة العربية بإحدى كتاتيب الطريقة الدرقاوية هناك وتعلم اللغة الفرنسية بمدرسة حيث نال منها الشهادة الإبتدائية. (زوزو، 2010: 58) جُند خلال الحرب العالمية الاولى في الجيش الفرنسي ببوردو الفرنسية، وهناك التقى بأحد الضباط الفرنسيين الذي كان رئيسه ويدعى "أليس" M.Alis في ثكنة "باكلام" ببوردو فاتخذه صديقا حقيقيا له. عن شخصية هذا الأخير وصفه مصالي في مذكراته بالعارف بالدين الإسلامي، المحب للإسلام وللأتراك، الشخص الذي علمه أشياء كثيرة وحفزه على أن يُقبل على التعلم والمعرفة والمطالعة فأطلعه على مجموعة من الكتّاب الفرنسيين الذين تناولوا قضايا المسلمين خاصة قضايا تركيا من أمثال "ألفراد دي موسي" A.de Musset و"بيار لوتي" Pierre Loti. من مؤلفات هذا الاخير، قرأ له مصالي:"تركيا المريضة" وعدة روايات للمؤلف نفسه منها: "صياد أيسلاند" و"سبايس" و"المخلصين من السحر"(الحاج، 2007: 85)، وعن هذه القراءات كتب يقول: "كانت هاته القراءات تأسرني وتلهب مشاعري وذلك لمظهرها السياسي ومحتواها العاطفي، إنها كانت في الحقيقة تهيجني..."(الحاج، 2007: 86)، لذلك بادر مصالي

نهاية الحرب العالمية الأولى بتسجيل نفسه في جامعة بوردو لتلقي المحاضرات والدروس العامة كمستمع حر.

يذهب "شارل روبير أجيرون" الى أن باريس وضاحيتها العمالية كانت مهد الوطنية الثورية التي سار عليها مصالي الحاج ورفاقه، لكن "محمد عباس" فند هذا القول وذكر أن أجيرون أخلط بين العقيدة والمذهب، وأن مصادر الوطنية الثورية لدى مصالي تكمن في الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1930 والأوضاع التي ترتبت عليه، وأن الظاهرة الاستعمارية الطاغية هي من صقلت فكر مصالي الثوري منذ أن كان في الزاوية الدرقاوية (عباس، 2011: 248)، غير أن هذا لا ينفي مدى ملائمة البيئة في باريس لممارسة مثل هذه النشاطات السياسية ولهذا الفكر الثوري الذي صقل مسبقا.

رجع مصالي الى الجزائر فترة من الزمن ولكنه سرعان ما عاد ليغادرها نظرا لظروف الى فرنسا ثانية حيث حل بها بتاريخ 23 أكتوبر 1923 مسلحا بوعي خام نابع من الموروث الثقافي والحضاري بطبعته التلمسانية (عباس، 2011: 249). عمل هناك بمصانع النسيج ثم بشركة رونو Renault لصناعة السيارات، ثم بائع متجول للجوارب. اعتمد حضور دروس ومحاضرات في السوربون بمعهد اللغات الشرقية، ثم بدأ ميله نحو المجال السياسي بحضور محاضرات الأمير خالد. (زوزو، 2010: 58). إضافة إلى ذلك، لم يكن مصالي في منأى عن تغيرات الوضع العام في العالم، لقد كان يتابع عن كثب كل التطورات الإقليمية والعالمية، فثورة عبد الكريم الخطابي وانتصاراته على الأسبان غمرت حسه العاطفي، وحركة كمال أتاتورك في تركيا أثارت عاطفته الروحية فهتف بروح وحياة مصطفى كمال أتاتورك في أحد المقاهي بتلمسان (عباس، 2011: 250).

بدأ ميول مصالي للشيوعية عند مواظبته على قراءة جريدة "L'Humanité" أي صحيفة العمال والفقراء كما وصفها، وقد تعززت ميولاته لها أكثر سنة 1920 عندما كان يؤدي الخدمة العسكرية الإجبارية واحتكاكه بالحركة العمالية الشيوعية. شجع القيادي بالحزب الشيوعي الفرنسي الحاج علي عبد القادر مصالي الحاج على الحضور الدوري لاجتماعاته بغرض التكوين في مجال السياسة والتنظيم الحزبي، كما اعتاد على استضافته أيضا بمحله التجاري أو ببيته ليلقنه مبادئ الشيوعية العالمية، وكان مصالي يعلق على ذلك بالقول أنه كان يرى تلك الأفكار بمنظور مختلف عكس الحاج علي الذي كان يقدر كل شيء بمنظور ماركسي. بذلك، يبدو أن مصالي، رغم إعجابه بالحاج علي وبأفكاره، إلا أن كل تلك الفترة خلال إقامته بفرنسا لم تؤثر لا في عروبته ولا في إسلامه (عباس، 2011: 251) وهو ما ذكره عن نفسه حين قال:"في الحقيقة، إن كل شيوعيي هذه الفترة كانوا ملتزمين بأرثوذوكسية عميقة. كنا نرى ذلك في نمط حياتهم ولباسهم وحديثهم عن عقيدتهم الجديدة. كانوا في هذا يشبهون المسيحيين الأوائل. ولكن فيما يخصني لم أصل الى هذه المرحلة الأخيرة فالإسلام كان دائما يملأ قلبي ويحرك كل ذاتي".(مصالي، 2007: 131). لقد كان حال مصالي كحال الكثير من العمال الجزائريين، فرغم انخراطهم في نقابتها بكثافة، إلا أن هذه الأخيرة لم تغير في عقيدتهم، إما لأنهم لم يفهموا إيديولوجيتها أو فهموها إلا أنها لم تُهضم من طرفهم كنهج ومسار يختلف كلية عن تكوينهم وعن مقدساتهم. (عباس، 2011: 251)

بحلول سنة 1924م، أقيم حفل بباريس لاستقبال الامير خالد تحضيرًا لتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا حضره مصالي الحاج والحاج علي عبد القادر واتفق الحضور على ضرورة تكوين رابطة تهتم بشؤون إفريقيا الشمالية (محمد شبوب، 2015: 324). في شهر ديسمبر من نفس السنة، أقيم مؤتمر للشمال إفريقيين جمع 150 مندوبا خرجوا بمجموعة من القرارات أهمها تأسيس هيئة عرفت باسم نجم شمال إفريقيا هدفها الدفاع عن مصالح العمال الأفارقة الإجتماعية، ولأن ارتباط الجانب الاجتماعي بالجانب السياسي وثيق الصلة، تحول عمل الهيئة الى المجال السياسي ابتداء من 20 جوان 1926 فكان مصالي الحاج الأمين العام لحزب نجم شمال افريقيا لتسند له الرئاسة سنة 1927. (محمد شبوب، 2015: 325).

- شكيب أرسلان ومصالي الحاج بين التأثير والتأثر:

بدأت العلاقة بين مصالي الحاج وشكيب أرسلان حسب محمد قنانش رفيق الدرب لمصالي الحاج سنة 1932 بواسطة محمود سالم باي - صاحب فكرة المؤتمر الإسلامي الأوربي- والذي كان يسكن بباريس بعدما كان قاضيا دوليا بمصر (قنانش، 2007: 24). شارك مصالي الحاج بعدها مع وفد من النجم في المؤتمر الإسلامي الاوربي بجنيف الذي كان محمود سالم باي صاحب فكرته وشكيب أرسلان منظمه شهر سبتمبر من سنة 1935 والذي كان هدفه توحيد المسلمين في أوربا مع مسلمي الشرق. (صاري،2004: 91).

عن أجواء انعقاد المؤتمر كتب شكيب يقول أنه قد كان رئيس التظاهرة طلبا من النشطاء المصريين (أنظر التعليق رقم:8)، وقد حضره المشاركون من جميع أصقاع العالم غير أن فرنسا- وبسبب استبدادها وغطرستها- حالت دون توجه المسلمين بها الى سويسرا لحضور المؤتمر رغم إعلان أهداف المؤتمر الاجتماعية. وأمام هذا الموقف، لم يجد مصالي الحاج وعمرعيماش من وسيلة أخرى غير التنقل خفية الى هناك فشاركوا في أعمال المؤتمر بخطبهم (أرسلان، 2009: 158).

خلال المؤتمر الذي يبدو أن شكيب قد سعى من وراءه الى غرس روح التضامن العربي الإسلامي بين مختلف الحركات الوطنية، التقى مصالي بالمفكرين العرب والمسلمين السبعين المشاركين فيه من أمثال شكيب أرسلان، والامين الحسيني مفتي القدس وإحسان الجابري وعلي زكي ... وقد كان الهدف من هذه اللقاءات هو البحث والتدارس لتوحيد جهود العالم الإسلامي. ازداد مصالي تشبعا وتمسكا بالبعد الحضاري العروبي الإسلامي، وتبلورت وتصلبت ثقافته السياسية الأصيلة والمتجددة في آن واحد، كما نشر أفكار حزبه هناك.

عن حضور مصالي ورفاقه للمؤتمر ونشاطهم خلاله جاء في البيان الختامي لهذا المؤتمر: "إن ثلاثة مغاربيين قاطنين في فرنسا مصالي الحاج وعماش عمار ومحمد بداك قد تناولوا الكلمة فيما بعد بالفرنسية ليصفوا الوضعية المزرية لمواطنيهم القاطنين في فرنسا وخاصة في الناحية الباريسية...إن التعليم العربي والديني وتربية الأطفال والزواجات المختلطة والحالة المدنية ومسجد باريس...كل هذه القضايا عولجت من قبل الخطباء بكيفية مدهشة في الدقة في نفس الوقت" (مصالي، 2007: 180).

تذهب بعض المصادر الى القول أن مصالي قبيل مغادرته جنيف صرح قائلا: "لقد بذرنا أي زرعنا والآن ينبغي علينا تحريك الأذهان لجني المحصول" (مريوش،2013: 174-175) وقد كان المقصود بكلامه تعزيز العلاقات مع الآخر لتثمين حزب نجم شمال افريقيا. (مريوش، 2013: 175).

علمت السلطات الفرنسية بحضور مصالي المؤتمر فحكم عليه القضاء الفرنسي سنتين سجنا غيابيا، فرَّ مصالي الحاج بعدها من فرنسا إلى جنيف، وهناك أقام عدة شهور وداوم على لقاء شكيب أرسلان حيث كتب في مذكراته عن ذلك يقول: "كنت... أقرأ الصحافة الموجودة في النزل وأخرج للقيام بجولة على ضفة بحيرة ليمان. وعلى الحادية عشر أذهب لمقابلة الامير شكيب أرسلان لأمشي معه. كنا نتبادل الأفكار حول مشاكل الساعة والصحافة اليومية وأخبار الشرق وشمال افريقيا" (مصالي، 2007: 186). تعرف أرسلان على مصالي جيدا وكتب فيه بأنه كان: "من خير الفتيان ونخبة الشباب، ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرر الإسلام منذ زمن طويل وليس في ذلك مبالغة، واللّه على ما أقول وكيل. ولقد خبرت بنفسي مدة ستة اشهر بالإجتماع الدائم حقيقة مصالي الحاج في أخلاقه وفي أدبه وعلو نفسه وفصاحة رأيه فلم أجد شيئا ينقصه. وغاية متمنياتي أن يحفظه اللّه ويكثر من أمثاله والناسجين على منواله"(مريوش، 2013: 175) أما مصالي فقد ذكر أن الأخير كان يقترح عليه أن يجعل من نجم شمال افريقيا واقعا سياسيا فعالا عبر كل شمال افريقيا (مصالي، 2007: 189) وأضاف: "إن هذه الإتصالات سمحت لي بتحسين رؤيتي السياسية عن الوضعية، فتيقنت أن العالم العربي الإسلامي يتمتع بعوامل مهمة وكنت أحس أن آلية اندلاع العملية الموصلة الى التحرر الوطني قد انطلقت في العالم العربي. كل لقاءاتي بواسطة الأمير مع سيد ضياء الدين الوزير الأول السابق لإيران ومع نوري السعيد الوزير الأول للعراق أو مع المغربي عمر بن عبد الجليل أثبتت لي أن المغاربيين والمشارقة كانوا يريدون أن يتعاونوا" (مصالي، 2007: 189).

جلب اتصال ارسلان بمصالي الحاج متاعب للأول وقد ذكر ذلك مصالي في مذكراته حين كتب:" عندما جاء جزء من الوفد السوري المكلف بالتفاوض مع السلطات الفرنسية الى جنيف في أفريل 1936 للقاء أعضاء اللجنة السورية الفلسطينية، دعاني الأمير شكيب الى حضور كل المحادثات...جاءت شخصية من باريس لرؤية الأمير شكيب أرسلان. إذا كانت المفاوضات الفرنسية السورية تتلقى صعوبات ضخمة حسب ما قيل له فذلك راجع الى حضور مصالي الحاج قربه وسياسته المناهضة لفرنسا...فطلبوا منه أن يبعدني من حاشيته وأن يتوقف عن مكافحة التأثير الفرنسي في البلدان الإسلامية" (مصالي، 2007: 190) فانتفض وأجاب: "صحيح سوري ولكني قبل كل شئ عربي ومسلم ومحارب" (مصالي، 2007: 190).عن هذا الموقف كتب مصالي:"ان محبتي وثقتي وإعجابي بالأمير شكيب ارتفعت كثيرا وصرت أعتبره من الآن أكبر زعيم في العالم العربي". (مصالي،2007: 191).

بعد العفو الذي مس مصالي الحاج على اثر وصول الجبهة الشعبية للسلطة في فرنسا، عاد مصالي من جنيف الى فرنسا وبدأ مرحلة جديدة من النشاط السياسي. لكن العلاقة التي جمعت مصالي بشكيب ومكوثه عنده لأشهر كان لها الأثر البالغ على مصالي أيضا من خلال تضييق السلطات الفرنسية على نشاطه السياسي واتهامه بصلته بشكيب أرسلان. وبحلول 26 جانفي سنة 1937،

أصدرت الجبهة الشعبية قرارا بحل نجم شمال افريقيا المجيد، وتذكر مصادر النجم أن سبب الحل كان رفض النجم إرسال متطوعين جزائريين إلى اسبانيا للمشاركة في الحرب الأهلية إلى جانب الشيوعيين هناك ضد فرانكو، فحقدوا عليهم وكانت النتيجة حل الحزب (سعد اللّه، 1992: 142). أما أبو القاسم سعد اللّه فذكر سببا آخر مفاده فحوى مذكرة أمنية أعدتها المخابرات الفرنسية بوهران تضمنت معلومات أفادت بوجود علاقة ربطت نجم شمال افريقيا بالفاشية الإيطالية عن طريق شكيب أرسلان من خلال اهتمام مجلة "أوريانت موديرنو Orient Moderno" الإيطالية برجال الحركة الوطنية المغاربية لا سيما الجزائر.(سعد اللّه، 1992: هامش 142) (سعد اللّه، 1996: هامش 128).

عن علاقة التأثير والتأثر الفكري، وبعيدا عن العلاقات الشخصية، كتب شكيب أرسلان يقول: " ما من مؤرخ ولا عالم اجتماع في العرب يقدر أن يقول إن للشرق أقوى ملكة عربية من الغرب، أو أن المشارقة يقيمون من شأن اللغة العربية ما لا يقيمه المغاربة..."، ثم أضاف:" فإذا قلنا أن الشرق فيه الأزهر والأموي ففي المغرب الزيتونة والقرويين وفيه مشارق للغة العربية تضاهي مشارق الشرق، وربما تزيد عليها أحيانا"(البعيني، 1996: 180).

جمعت الأمير شكيب أرسلان ومصالي الحاج عدة أفكار لعل من أبرزها مناصرتهما لفكرة الكفاح المسلح أو الجهاد. في هذا المقام يرى شكيب أرسلان أن مداد العلماء يوزن بدم الشهداء، وأن لا حياة سعيدة في مشروعات الوطنية والنزعة الاستقلالية إلا بالجماجم المنثورة، والأعضاء المبتورة، والأشلاء المعلقة، فعلى البعض أن يموت من أجل الكل شرط أن يكون الموت شهادة، والشهيد من استشهد في سبيل استقلال الأمة (البعيني، 1996: 195)، لذلك شارك شكيب الى جانب المقاومة في ليبيا، وإلى جانب العثمانيين في البلقان. ميل مصالي للعمل الثوري كان واضحاً كذلك فكان نهجه استقلاليا.

تجاه مصالي الحاج، عمل الأمير على محورين: من جهة ابعاده عن الحركة الشيوعية التي لازمها منذ تأسيس نجم شمال افريقيا سنة 1926 ودفعه لمقاومة مشروع بلوم فيوليت، ومن جهة أخرى التقريب بينه وبين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تجمعه بها أهداف مشتركة ولم ينجح في ذلك إلا نهاية الثلاثينات.(صاري، 2004: 90).

في المحور الاول، لا يستبعد أن يكون أرسلان طرفا قويا في تثمين نشاط النجم والطبقة العربية المهاجرة على وجه العموم، وقد أضحى ذلك بارزا في تخلي النجم عن تبعيته للحركة الشيوعية العالمية، ومحاولة مصالي الجادة لإعطاء الحزب الصبغة الجزائرية المحضة المؤسسة على الهوية الوطنية المنبثقة من العروبة والإسلام علما وأن أرسلان يمثل النموذج المتشبع بالفكر القومي العربي بالأيديولوجية الإسلامية مما مكنه من زرع هذه الأفكار في أوربا. وقد رحب أرسلان بنشاط النجميين بزعامة مصالي في فرنسا وأجزاء من اوربا وأشار الى ذلك بقوله: فالمشروع القومي العروبي في ظل الفضاء العربي الإسلامي للزعيم مصالي كان يتعارض مع مشروع بلوم فيوليت.

عن تأثر مصالي بشكيب وتوجهاته، يؤيد هذه الفكرة الكثير. لقد ذكر توفيق الشاوي رفيق مصالي مثلا أن مصالي الحاج قال له بأن لقاءه مع أرسلان "كان نقطة تحول في حياته لأنه وجهه للتحول من العمل النقابي إلى الكفاح الوطني على أساس أولوية الواجب الديني للدفاع عن الإسلام..."

وأضاف له بأنه قد "كشف له أن العقيدة الإسلامية هي مصدر القوة ومنبع الطاقة الهائلة التي تمكن شعلتها من النصر على الاستعمار"(لونيسي،2004: 93). ومن المؤرخين الذين أيدوا الطرح أيضا المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد اللّه في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء الرابع والذي ذهب الى أنه، وبفضل دعم أرسلان لحزب نجم شمال افريقيا، أُخرج الحزب العمالي الوحيد من الفلك الشيوعي وأدخل في الفلك العربي الإسلامي (حميطوش، 2013: 221). أما المؤرخ "جان كانياج Jean Ganiage" فقد اعتقد أنه لو لم يذهب مصالي الحاج إلى جنيف في بداية 1936 لظل مناضلا ماركسيا مغمورا.

فند أمير البيان شخصيا تأثيره على مصالي ربما تواضعا منه، على ضوء ما كتبه في كتابه: "عروة الإتحاد" عندما اعترف باستقلالية شخصية مصالي الحاج وقوتها قائلا أن مصالي اضطُهد من طرف الفرنسيين، وهو صاحب جريدة "الأمة"، فأعجب بفصاحته وجرأته فيما كان يكتبه ورفاقه، ويضيف أنه لم ير في عهده أمثالهم بين المسلمين في الجرأة على دول الاستعمار، فصار يستشهد بكلامهم في مجلته الأمة العربية وهم ينقلون من مقالاته إلى جريدتهم (أرسلان، 2009: 157). كما كذب ادعاءات فرنسا إدارةً وصحافةً عبر جرائدها بأنه المحرك الأساسي والوحيد للحركات التحررية في شمال إفريقيا، وذكر أنه بهتان، ولو كان ذلك صحيحًا لما كتمه حسب قوله، ولكان له الفخر ونيل الأجر لتحرير أمة عربية إسلاميّة، ويُضيف أن ليس له حاجةً بالتمدح بالباطل (أرسلان، 2009: 156). ثم أضاف أنه لم يكن البادئ بأي حركة وطنية بهذا الوطن، لكن كانت بينه وبين الجزائريين سواء حزب العلماء، أو حزب العمال توافق في الأفكار والمبادئ، (أرسلان، 2009: 159)

يرى محمد قنانش، رفيق درب مصالي الحاج، أن التأثير والتأثر قد كان متبادلا. صحيح أن مصالي قد استفاد من مراسلاته مع شكيب أرسلان ورفيقه إحسان الجابري، والأستاذ علي الغاياتي، ولكنه أفادهم أيضا بتجربته النضالية في التنظيم الجماهيري، منبها إياهم الى أن العمل النخبوي المعتمد على التصريحات والمقابلات قد فات أوانه، وملفتا انتباههم الى إمكانية استغلال الأحزاب اليسارية للوصول إلى بعض الحريات التي تمكن الشعوب العربية من السير إلى الأمام (قنانش، 2005: 24) على غرار ما فعله هو في تجربته الخاصة.

في المحور الثاني، كان من نتائج مساعي الأمير للتقريب بين مصالي الحاج والعلماء أن عرفت العلاقات بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري نوعا من التقارب والتضامن خاصة بعد فشل مشروع بلوم- فيوليت وحل نجم شمال افريقيا المجيد في 26 جانفي 1937. يذكر "شارل روبير أجيرون" أن العلماء استجابوا سنة 1937 لنداء شكيب أرسلان ولذلك عقد اجتماع في باريس يوم 21 جانفي تحت رئاسة وبحضور مصالي، الفضيل الورتلاني، السعيد صالحي والحبيب بورقيبة، وتمت خلاله المصالحة بين الطرفين. وقد تجسد هذا الوفاق على أرض الواقع بعد توقيف قادة حزب الشعب واضطهاد المنتمين إليه. وتشير احدى النشريات لشهري أكتوبر- نوفمبر الصادرة عن عمالة وهران أن أعضاء جمعية العلماء قد قدموا في مناسبات عديدة مساعدتهم لمناضلي حزب الشعب. ففي وهران مثلا، قام أعضاء نادي "جمعية الفلاح" التابع للعلماء بجمع التبرعات لصالح مصالي

وزملائه السجناء، وقد جلبت هذه التبرعات مبلغ 2000 فرنكا. ويظهر أن تأثير شكيب أرسلان في الجزائر كان خاصة على مصالي وهو ما أجمع عليه أغلب من تطرقوا الى هذا الموضوع مثل شارل أندريه جوليان ومحفوظ قداش. (صاري،2004: 91-92).

بحلول الحرب العالمية الثانية، تقلصت علاقات شكيب أرسلان مع الجزائر. فنظرا للقوانين الزجرية التي صدرت في هذه الفترة والتي تحد من حرية العمل وتفرض رقابة صارمة على حرية التجمع والتنقل، زيادة على تشديد الرقابة في الجزائر وبقية المستعمرات على المراسلات، كل ذلك أدى الى عرقلة الإتصالات إن لم نقل انقطاعها بين شكيب أرسلان والجزائر. (صاري، 2004: 92).

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وتحصلت كل من سوريا ولبنان على استقلالهما سنة 1946، رجع شكيب أرسلان يوم 30 أكتوبر الى بلده لبنان. غير أن المقام لم يدم به كثيرا هناك إذ توفي بعد أربعين يوما فقط من ذلك تاركا وراءه تراثا كبيرا يجمع بين الشعر والنثر وكتب التراجم والتاريخ. هذا بالإضافة الى العديد من الكتب التي حققها، والمئات من المقالات التي ساهم بها في مختلف الجرائد والمجلات العربية والأجنبية.(صاري،2004: 93). وفي كلمة ألقاها أحد أعضاء حزب الشعب في أحد اللقاءات، نيابة عن مصالي الحاج، من خلال رسالة بعث بها مصالي من إقامته الإجبارية ببوزريعة، عند سماع خبر وفاة الداعية الأديب السياسي أمير البيان شكيب أرسلان في 1946م قال :"إن معرفتي بشكيب، أعدها غرة في فاتح حياتي، ودرة من الدرر التي أبقى فخورا بها في مدى الحياة، رأيت هذا الوطني الغيور، والعالم الجليل، والمجاهد الذي لا يعرف الفتور، نعم رأيته وعرفته، فوجدت فيه الشخصية الإسلامية الكبرى التي يستحيل على الإنسان، أن يسجل في هذه الورقة الصغيرة، ما لها من المزايا، والمجهودات في سبيل تحرير الأمم العربية الإسلامية" (الطاهر، 1947: 294).

خاتمة ونتائج الدراسة:

على ضوء ما تمت دراسته يمكن الجزم أن العلاقة بين أمير البيان شكيب أرسلان ومصالي الحاج كانت الأبرز من مجمل العلاقات الأخرى التي أقامها أرسلان مع رجال الحركة الوطنية الجزائرية فكانت علاقة متميزة، بدأت بمشاركة مصالي في أعمال المؤتمر الإسلامي بجنيف وإقامته عند أرسلان عدة أشهر هربا من ظلم القضاء الفرنسي، فتوطدت العلاقة أكثر. حصر الكثير من المهتمين بهذا الموضوع هذه العلاقة في مدى تأثر مصالي بأفكار أرسلان، دون ذكر مدى إعجاب أرسلان بنشاط وأخلاق مصالي الحاج.

والظاهر أن الكثير ممن كَتبَوا حول تأثير أمير البيان شكيب أرسلان على مسار زعيم الحركة الوطنية الجزائرية مصالي الحاج لم يطلعوا على بعض كتابات شكيب التي يعترف فيها بأفضال شخصية مصالي الحاج وكيف أثر فيه هو من خلال شجاعته ولغته ونشاطه مع رفقاء حزبه. طبعا كانت لأرسلان لمسة خاصة وبصمة ألهبت مشاعر مصالي وأيقظت همته في الكثير من القضايا، وشحنت طاقته، فكانت العلاقة دافعًا إضافيا نحو مرحلة أخرى في النضال السياسي لمناهضة الوجود الإمبريالي في الوطن العربي.

أما أن نقول أن أرسلان غيَّر وجهة مصالي الحاج من النهج الاشتراكي إلى النهج العربي الإسلامي، ففيه نوع من المبالغة، لأن مصالي كسائر العمال المهاجرين - رغم تجاوبهم مع هذه الحركة- فإنهم لم يهضموا مبادئها يوما كما صرح به في مذكراته إضافة إلى أن أرسلان حضر شخصيا في احتفالية كبيرة للبلاشفة بروسيا بعد دعوته، ومكث هناك شهري جوان وجويلية من عام 1921، وهذا لا يعني أن أرسلان اقتنع بالشيوعية أو تعاطف مع أفكارها.

لذا فمصالي الحاج لم يغيِّر يوما أيديولوجيته العربية الإسلامية، فقبل لقائه بأرسلان، وتأسيسه للنجم، وضع ورفقاؤه مجموعة من الأسس تخص النجم، بداية بالتذكير بأمجاد الإمبراطورية العربية الإسلامية، والتذكير بمفاخر من سبقوه في مجال الجهاد، كمقاومة الأمير عبد القادر، وثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب الشقيق، واتخاذ المبادئ الإسلامية كمنطلق لنيل الاستقلال، والعمل على يقظة الأمة العربية الإسلامية.

لا نستطيع فهم أفكار مصالي الحاج وممارساته بمعزل عن المؤثرات التي صاغته والمتمثلة في الطريقة الدرقاوية التي أخذ عنها أسلوب التعامل مع الشعب والعداء للاستعمار ومبدأ المساواة، وكذلك الماركسية التي تأثر بها على يد حاج علي عبد القادر وبواسطة احتكاكه بالحزب الشيوعي الفرنسي، فأعطته أسلوب التنظيم لحركته بالإضافة إلى شكيب أرسلان الذي دعم توجهه العروبي الإسلامي.

الملاحق:

1- تعد طائفة الدروز في لبنان من أكبر الطوائف الاسلامية نفوذا وقوة وعددا في الوطن، فهناك من يقول أن أصولهم فارسية، والبعض يقول أنهم أتوا مع الصليبيين، وآخرون ينسبونهم إلى أتباع أبي محمد الدرزي الذي كان واليا للحاكم بأمر اللّه، ويذكر البعض أن هذه الطائفة لها تعاليم سرية تخالف تعاليم الإسلام، أما أرسلان فيقول أنها من الفرق الاسلامية، ويقومون بشعائر المسلمين، ولا يمكن إخراجهم من دائرة الاسلام. أما أصل تسميتهم فيرجعه أرسلان إلى نكشتين الدرزي العجمي، أحد دعاة الحاكم بأمر اللّه الخليفة الفاطمي، لذا فنحلتهم إسماعيلية فاطمية.(الشرباصي، 196).

2- هو وليام الثاني من أشهر أباطرة ألمانيا، حكم بين سنتي 1888 إلى سنة 1918، حفيد وليام الأول، كان محبا للمظاهر العسكرية، شديد الاندفاع، سعى لجعل ألمانيا قوة استعمارية، فاصطدم بالقوى المنافسة على غرار فرنسا وبريطانيا، كان السبب في نشوء أزمة المغرب الأولى والثانية ثم اندلاع الحرب العالمية الأولى، وخرج منها منهزما، وقد اشترط الرئيس الأمريكي ويلسون تنحي وليام الثاني عن العرش للبدأ بالتفاوض في مؤتمر فارساي. (الكيالي، 1994، 354).

3- هي المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين، أي الشمال الشرقي لتركيا، تضم دول جورجيا، أرمينيا، أذربيجان، إضافة إلى داغستان والشيشان اللتان لازالت روسيا تسيطر عليهما إلى حد الآن، وهما الإقليمين نفسيهما في أغلب الظن اللذان تحدث عنهما شكيب أرسلان في مهمته الثانية إلى برلين سنة 1918.

4- أحداث سنة الستين: في ماي 1860 دخلت منطقة لبنان في حرب طائفية بين الدروز من جهة والمسيحيين من جهة أخرى، واستمرت الاحداث لأكثر من شهر فكان للأمير عبد القادر دور بارز في إيقاف تلك الفتنة وإنقاذ السكان المسيحيين. (تشرشل، 1974، 281).

5- ولد طلعت باشا في كارجلي في برلين، هو مؤسس جمعية الحرية العثمانية وأحد القادة البارزين في الدولة العثمانية ومن مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي. كان له دوراً هاماً في إعداد ثورة 1908، وكان أحد صناع القرار السياسي في الدولة العثمانية في الفترة الممتدة من 1908 حتى 1918، كما لعب دوراً في مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وأحداث أرمينيا. شغل سنة 1917 منصب الصدر الأعظم، وبعد هزيمتهم في الحرب، حلّ طلعت باشا جمعية الإتحاد والترقي وفرّ هارباً مع جمال باشا الى خارج البلاد، ثم قُتل في برلين علي يد ناشط أرميني.

6- ولد شارل أنطوان مارسيال لافيجري في 31 أكتوبر 1825 بمدينة وير قرب بايون على سفوح جبال البيريني، وهو الابن الأكبر في عائلته المتكونة من أخ وأختين، شغل أبوه ليون لافيجري منصب مفتش لدى مصلحة

الجمارك بالمدينة وهو من عائلة بورجوازية، أظهر لافيجري منذ طفولته توجها دينيا خالصا من خلال حضوره الدائم بالكاتدرائية في المدينة، وفي لعبه مع أقرانه كان يختار لعب دور رجل الدين، حيث كان يتوهم إقامة القداس والمراسيم الدينية المسيحية، وعند ملاحظة والده ميوله الديني أدخله معهد الدعاية التنصيرية، سانت لويس دو قوزاني، ثم المدرسة الإكليركية الصغرى للدراسات الأسقفية ببلاروسور، وفي سنة 1848 عين في منصب ديني، فأصبح شماس إنجيلي ثم ارتقى إلى رتبة قسيس على يد الأب سيبور يوم 02 جوان 1849، ثم تقلد منصب أستاذ تاريخ بجامعة السربون بباريس فيما بين 1854 و1856، ثم اتجه إلى سوريا لمساندة الحركة التبشيرية عن طريق التعليم، وبعدها انتقل إلى الجزائر سنة 1867 حيث أصبح كبير أساقفتها واهتم بالتبشير فأسس سنة 1868 جمعية المبشرين بالجزائر التي تعرف باسم الآباء البيض وأسس في السنة الموالية جمعية الأخوات البيضاوات، كان يهدف بعمله تحويل مسلمي الجزائر إلى الديانة المسيحية معتبرا الجزائر بابا نحو القارة الإفريقية التي أرسل إليها بالفعل عددا من البعثات التبشيرية.

7- تجدر الإشارة إلى أن فحوى الكتاب ألقي في شكل محاضرة سنة 1937 من طرف أمير البيان شكيب أرسلان في المجمع العلمي العربي بدمشق ثم حفظ في شكل مخطوط ليطبع على هيئة كتاب في جويلية من سنة 2008.

8- يقول أمير البيان في هذا الصدد أنه في سنة 1935م اتصل به أحد عروات(من فُوِّض لهم الأمر) إخواننا المصريين أمثال محمود بك سالم، وعبد الباقي بك العمري وغيرهما أن أتولى مؤتمر إسلامي- أروبي أرادوا عقده في جنيف وأبوا إلا أن أكون على رأس هذا المؤتمر، فلم يسعني إلا أن أجيبهم إلى طلبهم هذا.

9- يصف أرسلان هنا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالحزب ليس لعدم معرفته المسبقة بها، وإنما كتجمع أو مجموعة أو شيعة كبديل لغوي فقط، كذلك حزب العمال، ليس تسميةً للحزب، بل لكثرة ما يضمه الحزب من عمال لذا يصفه في الكثير من المواضع بحزب العمال.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

- أرسلان، شكيب. (2008). *النهضة العربية في العصر الحاضر*. لبنان: الدار التقدمية.
- أرسلان، شكيب. (2009). *عروة الإتحاد بين أهل الجهاد*. لبنان: الدار التقدمية.
- البعيني، نجيب. (1996). *من آثار أمير البيان شكيب أرسلان في الشعر والنثر*. د م ط: الدار الجاسمية.
- بن رابح، سليمان. (2008). *العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين (1919م-1939م)*. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ وعلم الآثار.باتنة.
- تشرشل، شارل هنري. (1974). *حياة الأمير عبد القادر*، تر: أبو القاسم سعد الله، تونس: الدار التونسية للنشر.
- الحاج، مصالي. (2007). *مذكرات مصالي الحاج 1989-1938م*. تر: محمد المعراجي. الجزائر: منشورات ANEP.
- الحكيم، ناصر. (2010). *جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان (دراسة تاريخية فكرية نقدية)*. لبنان: الدار التقدمية.
- حميطوش، يوسف. (2013). *منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس*. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الدهان، سامي. (1960). *الأمير شكيب أرسلان: حياته وآثاره*. القاهرة: دار المعارف.

- زوزو، عبد الحميد. (2010). *الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ستودارد، لوثروب. (د س ط). *حاضر العالم الإسلامي*، تر: عجاج نويهض، (مج.1).(ج.2). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سعد الله، أبو القاسم. (1996). *أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر*.(ج.4). ، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله، أبو القاسم. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م*. (ج.4). (ط.4). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- شبوب، محمد. (2015، جويلية-ديسمبر)." تطور الاتجاه الاستقلالي في الجزائر من 1926 إلى 1936"، *مجلة عصور*،ع 26-27.
- الشرباصي، أحمد. (1963). *شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية*. القاهرة: مطابع الدار القومية للطباعة والنشر.
- صاري، احمد.(2004). *شخصيات وقضايا في تاريخ الجزائر المعاصر*.غرداية: المطبعة العربية.
- الطاهر، محمد علي. (1947). *ذكرى الأمير شكيب أرسلان، المراثي وحفلات التأبين وأقوال الجرائد*، القاهرة: مكتبة فلسطين للكتب المصورة https://palstinebooks.blogspot.com
- طلس، محمد أسعد. (2013). *محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- عباس، محمد. (2011). *الحاج مصالي.. الوطني الثائر بين غاندي. وهوشي مينه*. الجزائر: دار هومة.
- عمايرة، محمد سالم أحمد.(جويلية 2000). *شكيب أرسلان 1869م-1946م، دراسة في فكره السياسي*. قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ بكلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية.
- فايد، البشير. (2010/2009). *قضايا العرب والمسلمون في آثار البشير الابراهيمي والأمير شكيب أرسلان: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة*. رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ والآثار، قسنطينة.
- قنانش، محمد. (2007). *ذكرياتي مع مشاهير الكفاح*. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- الكيالي، عبد الوهاب. (1994). *موسوعة السياسة*، ج7. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- لونيسي، رابح.(2004). *التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والإختلاف*. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة الجزائر. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ.
- المدني، توفيق. (جويلية/أوت 1983) .شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين، *مجلة الثقافة*، السنة الثالثة عشر، ع 76. وزارة الثقافة، الجزائر.
- مريوش، أحمد.(2013). *محاضرات في تاريخ الجزائر 1900-1954*، ج2، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

1. Baurnard, (M). (1898). *Le cardinal Lavigerie*. Paris: Librairie Paussielgue.